الفصل الثاني

المطلب الأول

أبو طالب في سطور

١. من هو: عبد مناف بن عبد المطلب، المشهور بأبي طالب؟

الأخ الشقيق لسيدنا عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ أحد العشرة من أولاد عبد المطلب، وكان عبد المطلب الوجه المتألق في قريش، وله منزلته العلية في أوساطها، ثم جاء بعده ولده أبو طالب فورث تلك المكانة الاجتماعية العلية.

٢. زواج أبي طالب

جاء في «الكتاب السابع والأربعين من سلسلة المعارف الإسلامية» لـ (عبد العزيز كاظم): أن مؤمن قريش أبا طالب لما أراد الزواج تقدم لعمه أسد بن هاشم طالبًا يد كريمته فاطمة، ولم يتزوج بغيرها طوال حياته، وكانت السيدة فاطمة بنت أسد تتمتع بصفات جليله جعلتها من فضليات النساء الهاشميات، وعند طلبها ارتجل أبو طالب هذه الكلمات.

الحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم، والمقام الكريم والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلامًا وسادة وعرفاء خلصاء، وقادة وحجبة بهاليل، أطهارًا من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل، وبعد: فقد تزوجت فاطمة بنت أسد، وسقت المهر، وأنفذت الأمر، فاسألوه واستهدوا.

فقال عمه أسد: زوجتك (فاطمة) ورضينا بك، ثم أولم أبو طالب سبعة أيام متوالية ينحرفيها الجزور.

obeikandl.com

وقد أجاد الشاعر أمية بن أبي السلط في بائيته واصفًا عرس أبى طالب:

أغمرنا عرس أبى طالب	وكان عرسًا لين الجانب
إقراؤه الضيف بأقطارها	من رجل خف ومن راكب
فنازلون سبعة أحصيت	أيامها للرجل الحاسب

أولاد أبى طالب

وأثمر هذا الزواج المبارك أربعة أبناء، وهم: طالب وهو الذى يكنى به، وعقيل، وجعفر، وعلى. وقيل وبنتًا واحدة وهى فاخته المعروفة بأم هانئ، وقيل بنتًا أخرى وهى جمانة، وهم كل أبناء الزوجين الكريمين. وكان بين كل واحد منهم وأخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلى، فكان جعفر أكبر من على بعشر سنوات، كما ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية ٧/ ٢٢٣». أما طالب بن أبى طالب، فكان مُحبًّا لرسول الله ﷺ وله فيه مدائح، وكان خرج إلى بدر كَارِهًا، ورجع مع من رجع وقال شعرًا وقصائد ثناء على رسول الله ﷺ ولم يكن له عقب أى أولاد.

وأما عقيل بن أبى طالب، فقد أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وثبت يوم حنين، ومات في أول خلافة يزيد وعمره ست وتسعون سنة، وترك أربعة أولاد، هم: مسلمة، ثم عبد الله، ثم عبد الرحمن، ثم جعفر.

وأما جعفر بن أبى طالب، فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يحب المساكين ويجلس إليهم يخدمهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشى ومن تبعه على يديه وعاد إلى المدينة يوم فتح خيبر، فقال ﷺ: «والله ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»، واستشهد بمؤته من أرض الشام مقبلًا غير مدبر، وترك من أولاده محمدًا الذى قتل بين يدى عمه على بن أبى طالب بمعركة صفين، وترك عبد الله الذى تزوج بالسيدة الطاهرة زينب الكبرى فأولدت له عونًا ومحمدًا، وقد استشهدا بين يدى خالهما الإمام الحسين يوم عاشوراء بكربلاء.

وأما على بن أبى طالب، فالقول فيه لا تحده هذه الصفحات، فهو الوحيد الذى ولد في جوف الكعبة، وأطعم الله أمه من ثمار الجنة وهى في الأيام الأولى لوضعه، فلقد ظلت في داخل الكعبة ثلاثة أيام لم يدخل عليها أحد بطعام حتى جاءت أم المؤمنين خديجة وحملته وخرجت به، فوضع الرسول فمه في فمه كأنما كان يعطيه الحكمة، ولقد كان الرسول يداعبه وهو رضيع

حتى تبناه، وكان أول من أسلم من الغلمان، وسوف أجعل له بحثًا مستقلًّا؛ لأن ما قام به في سبيل الدعوة لا تكفيه هذه الأسطر في التعريف به، فهو حب رسول الله وزوج ابنته فاطمة الزهراء وأولاده ـ الحسن والحسين وزينب ـ منهم نسل النبوة، وفيهم العطرة الطاهرة إلى أن تقوم الساعة فكل من تناسل منه ومن أتباع فاطمة الزهراء هم آل بيت النبوة، أو قل هم الأشراف في زماننا والزمان من بعدنا عليهم السلام.

وأما أم هانئ بنت أبي طالب، فاسمها فاختة، وكانت زوجة لهبيرة بن عائذ المخزومي، وكان له منها عمرو، وروت عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها، قال الإمام الترمذي وغيره: عاشت بعد علي، كرم الله وجهه.

وأما جمانة بنت أبي طالب، فهي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت لأبي سفيان ابنه جعفرًا، وأطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقًا. هؤلاء هم الأبناء، فمن هي الزوجة؟ هي السيدة الشريفة فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنهما، وقد شملتها العناية الإلهية بعدة كرامات امتازت بها عن النساء الأخريات، منها:

١ـ هي أول هاشمية يتزوجها هاشمي.

٢ـ كانت لرسول الله ﷺ بمنزلة الأم العطوف؛ حيث امتدت مدة أمومتها له ﷺ عشرين سنة، حتى قال فيها رسول الله ﷺ: «**كانت أمي بعد أمي التي ولدتني**». «كنز العمال جـ٧ ٣٧٦».

٣ـ وكان يثني على حنانها وشفقتها عليه قائلًا: «**إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي منها**». «أسد الغابة لابن الأثير جـ٧ ص٢١٣».

٤ ـ هي أول من أسلم بعد السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين رضي الله عنهما.

٥ـ لما حضرت وفاتها في السنة الرابعة بعد الهجرة قام ﷺ فكفنها بقميصه، واضجع في روضتها، وكبر في الصلاة عليها سبعين تكبيرة «المستدرك للحاكم ٣: ١١٧ ح ٤٥٧٤»، وقال النبي ﷺ: «**ألبستها قميصي لتلبس من ثياب أهل الجنة، واضجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر**»، وقال: «**جزاك الله من أم خيرًا**».

ولكن يبقى السؤال:

كيف ولدت هذه السيدة الطاهرة المباركة في الكعبة، ومن هو الوليد المبارك؟

والجواب هو الإمام على أمير المؤمنين بن أبى طالب عليه السلام، فمن علماء السنة: الحاكم في «المستدرك»، والمسعودى في «مروج الذهب»، وابن المغازلى في «المناقب»، وسبط ابن الجوزى في «تذكرة الخواص»، وابن الصباغ المالكى في «الفصول المهمة»، والشبلنجي في «نور الأبصار»، والحموينى الشافعى في «فوائد السمطين»، وابن أبى الحديد في «شرح نهج البلاغة».

ومن علماء الشيعة: ابن شهر أشوب في «المناقب»، والكحليتى في «الكافى»، والمحلبى في «بحار الأنوار»، والأميني في «الغدير» والصدوق في «الأمالي»، وغيرهم.

المولد المبارك لوليد الكعبة، ولقد اخترت متن حديث الولادة من كتاب (بشارة المصطفى) للشيخ الفقيه عماد الدين أبي جعفر بن محمد بن على الطبرى، وكتاب (كشف الغمة) للشيخ الأديب بهاء الدين على بن عيسى الأربلى، ووجد في مصادر أخرى كثيرة، روى هؤلاء جميعًا بإسنادهم إلى سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب، كنت جالسًا مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: رب: إنى مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من كتب ورسل، وإنى مصدقة بكلام جدى إبراهيم الخليل، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت، وبحق المولود الذى في بطنى لما يسرت على ولادتى. قال يزيد ابن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة، وغابت عن أبصارنا، وانفلق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر الله تعالى:

وحدثت السيدة فاطمة بما جرى لها في الكعبة قالت:

فجلست على الرخامة الحمراء ساعة، وإذا أنا قد وضعت ولدى على بن أبى طالب ولم أجد وجعًا ولا ألمًا.

وبقيت السيدة في الكعبة ثلاثة أيام وانتشر الخبر في مكة، وجعل الناس يتحدثون به، وازدحموا في المسجد الحرام ليشاهدوا مكان الحادثة، حتى كان اليوم الرابع وإذا بفاطمة قد خرجت من الموضع الذى كان قد انشق لدخولها وعلى يديها صبى كأنه فلقه قمر، وأسرعت الجماهير المتجمهرة إليها فأعطته للسيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين، ثم قالت: معاشر الناس، إن الله عز وجل اختارنى من خلقه على من تقدمنى من النساء: لا آسيه بنت مزاحم عبدت الله في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارًا، وأن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبًا جنيًّا، وإنى دخلت بيت الله الحرام وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها.

ملحوظات:

(١) لا حرج على فضل الله أن يستر على امرأة أحبت الله ورسوله، وأن يختار لمولد وليه أشرف بقاع الأرض. وحتى يكون مولده في هذا المكان من مزايا المولود والوالدة التى تفردا بها، ولا مانع أن يمنح الله عباده المقربين هذه العطايا والمنح كى تكون لهم دليلًا على كرامتهم عند الله.

(٢) من المعلوم أن للكعبة بابًا يمكن منه الدخول والخروج، ولكن الباب لم ينفتح، بل انشق الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدل على خرق العادة، وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة.

(٣) وحتى لا يشكك أحد في هذه الحادثة، فإن الأثر لا يزال موجودًا على جدار الكعبة حتى اليوم بالرغم من تجدد وبناء الكعبة في خلال هذه القرون، وقد ملؤوا أثر الانشقاق بالفضة، والأثر يرى بكل وضوح على الجدار المسمى بالمستجار.

ويكفى أنها أول امرأة آمنت برسول الله وصدقته وإن كان أولادها آمنوا برسول الله، وأنها جدة النسل الشريف كله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، وجمعنا بها.

هذا هو أبو طالب صاحب أول أسرة هاشمية اجتمع فيها زوجان هاشميان، تولى أبو طالب رعاية النبى ﷺ الذى فقد أبويه في سن مبكرة، ثم فقد جده، ولما بعث ﷺ لم يدخر أبو طالب وُسْعًا في دعمه ومؤازرته والإيمان به، وسوف نتحدث في الصفحات التاليه عن دعمه وموقفه من أهل مكة داعمًا ومدافعًا عن رسول الله ﷺ حتى لقى ربه محبًّا لله ولرسوله.

وقد رسخ في عقول البعض أنه لم يسلم نتيجة المؤامرة السياسية من بنى أمية على الإمام على وأولاده، ولكن أذكر هنا ثلاثة أقوال لأهل البيت، فلا حديث بعدهم.

(١) عن الأصبع بن نباته: سمعت أمير المؤمنين يقول: والله ما عبد أبى ولا جدى عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنمًا قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ متمسكين به. «بحار الأنوار جـ٣٥ ص٨١».

(٢) قال الإمام محمد الباقر فيمن طعنوا في أبى طالب: كذبوا والله، إن إيمان أبى طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفه ميزان لرجح إيمان أبى طالب على إيمانهم، شيخ الأبطح أبو طالب. «السيد محمد على شرف الدين ص٨٨».

(٣) قال الإمام جعفر الصادق: إن أبا طالب أظهر الكفر وأسر الإيمان، فلما حضرته الوفاة أوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى رسول الله ﷺ «اخرج منها، فليس لك بها ناصر»، فهاجر إلى المدينة. «بحار الأنوار جـ٣٥، ص٨١».

المطلب الثانى

نصرة أبى طالب للنبى

ذكر ابن هشام فى «السيرة النبوية جـ١ ص١٨٥ ـ ط دار المنار وما بعدها» قال: أولًا: أبو طالب يعرف مكانة الرسول ﷺ وهو فى سن الصبا، ويوقن أنه نبى:

(١) نبوءة رجل من لهب عن رسول الله ﷺ. قال ابن اسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير. أن أباه حدثه: أن رجلًا من لهب ـ قال ابن هشام: ولهب من أزد شنوءة ـ كان عائفًا، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم فينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، قال: فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله شىء فلما فرغ قال: الغلام على به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفًا. فوالله ليكونن له شأن، قال: فانطلق أبو طالب به. ولم يشأ أن يتركه بعدها مخافة عليه.

(٢) قصة بحيرى

نزول أبى طالب ورسول الله ببحيرى

قال ابن اسحاق: ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله ﷺ فيما يزعمون، فرق له، وقال: والله لأخرجن به معى، ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدًا، أو كما قال، فخرج به معه.

بحيرى يحتفى بتجار قريش:

فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له: «وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل فى هذه الصومعة راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون ـ يتوارثونه كابرًا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى، وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريبًا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك فيما يزعمون عن شىء رآه وهو فى صومعته يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبًا منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، وقد

أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنى قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم! فما كنت تصنع هذا بنا. وقد كنا نمر بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى، قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلاغلام، وهو أحدث القوم سنًّا، فتخلف فى رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى، إن كان للؤمًا بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

بحيرى يتثبت من محمد ﷺ وآله:

فلما رآه بحيرى، جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، وإنما قال بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسألنى باللات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما»، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له: سلنى عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفية على موضعه من صفته التى عنده. قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم.

قال ابن اسحاق: فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. قال له بحيرى: ما هو بابنك. وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخى. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر فخرج به عمه أبو طالب سريعًا، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام (فزعموا فيما روى الناس: أن دريدًا، وتمامًا ودريسًا وهم نفر

من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرى. وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه. ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه.

وعاد به أبو طالب وهو على يقين أن ما بين ظهره من خاتم النبوة ينبئ أنه رسول هذه الأمة، ولكنه كتم وأسر مخافة عليه فى صغرة.

(٢) أبو طالب ينصر الدعوة جهرًا قبل الرسالة:

ويظهر ذلك جليًّا فى خطبته العصماء بمناسبة زواج النبى ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام؛ حيث ذكر ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة»، وابن الجوزى فى «الوفا بأحوال المصطفى»، وابن خلدون فى «تاريخه» أن السيد أبا طالب قال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن محمد بن عبد الله أخى، من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا وفضلًا وحزمًا وعقلًا ورأيًا ونبلًا، وإن كان فى المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلى، وله والله بعد نبأ وخطب جليل).

هذه الخطبة تتضمن عدة أمور تكشف عن مستوى السيد أبى طالب الفكرى والنفسى منها:

١ ـ أنه بدأها بحمد الله تعالى، ثم إشاراته إلى أن والنبى ﷺ من ذرية إبراهيم الخط الموحِّد المعروف.

٢ ـ الاعتراف بقدسية الكعبة، ورمزيتها لتوحيد الله.

٣ ـ أوضح أن الرئاسية لقريش جاءت بتقدير من الله سبحانه، لا على أساس الوثنية أو المال أو غيرهما.

٤ ـ يعتقد السيد أبو طالب بأن النبى ﷺ هو ذلك الإنسان الذى لا يساويه أحد من شباب قريش، ولم يكن ذلك على أساس القرابة أو العصبية، وإنما عن وعى وبصيرة بشخص النبى ﷺ.

٥ ـ وضَّحَ السيد أبو طالب المقاييس الأخلاقية والقيمية التى تفوق بها سيدنا محمد على غيره، وهذا كاشف عن قدرة إدراك السيد أبى طالب الأصيل، وإيمانه بهذه القيم التى اعتمدتها الرسالة الإسلامية فيما بعد.

٦ ـ تعهد السيد أبو طالب ـ رغم قلة ماله ـ بأن يدفع كل ما يحتاجه ﷺ من المال لغرض الزواج، فهو المبادر لزواج الرسول ﷺ لا غيره.

٧ ـ الذى استقر فى ذهن السيد أبى طالب وقلبه عظمة النبى ﷺ ومستقبله الإلهى، فأقسم بالله قائلًا: (وله والله بعد نبأ شائع وخطب جليل) لأنه سمع من أبيه عبد المطلب بأن فى ذريته النبوة. إذًا، ترجع هذه العناية للخلفية الدينية التى كان يتمتع بها السيد أبو طالب، ولولا خاصة النبوة وسرها، لما كان مثل السيد أبى طالب وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها يمدح ابن أخيه وهو شاب، أفتراه أخى وحبيبى فى الله ورسوله يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل، ثم يعانده ويكذبه، وهو من أولى الألباب؟

هذا غير سائغ فى العقول.

ثانيًا: أبو طالب ينصر الدعوة جهرًا بدء الرسالة، ويؤكد ذلك ما أخرجه فقيه الحنابلة إبراهيم ابن على بن محمد الدينورى فى كتابه «نهاية الطلب وغاية السؤول فى مناقب آل الرسول» بإسناده عن طاووس عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فى حديث طويل **أن النبى ﷺ** قال لعمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إن الله قد أمرنى بإظهار أمرى، وقد أنبأنى واستنبأنى فما عندك؟»** فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا ابن أخى، إنك تعلم أن قريشًا أشد الناس حسدًا لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداهية العظيمة. ورمينا من قوس واحد، وانتسفونا نسفًا، ولكن قرب إلى عمك أبى طالب؛ فإنه كان أكبر أعمامك، إن لم ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه، فلما رآهما أبو طالب قال: إن لكما لظنة وخبرًا، ما جاء بكما فى هذا الوقت؟

فعرفه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما قاله النبى ﷺ وما أجابه به العباس، فنظر إليه سيد البطحاء أبو طالب، وقال له: اخرج بابن أخى إنك الرفيع كُعبًا، والمنيع حزبًا، والأعلى أبًا، والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنها، لقد كان أبى يقرأ الكتاب جميعًا، ولقد قال: إن من صلبى لنبيًّا، لوددت أنى أدركت ذلك الزمان، فآمنت به، فمن أدركه من ولدى فليؤمن به.

تعليق: أترى أخى وحبيبى فى الله أن أبا طالب يروى ذلك عن أبيه مطمئنًا به؛ لينشط الرسول ﷺ هذا التنشيط لأول يومه، ويأمره بإشهار أمره، والإشادة بذكر الله، وهو مخبت بأنه هو ذلك النبى الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة ويتكهن بخضوع العرب له، أتراه ـ سلام الله عليه ـ يأتى بهذه كلها، ثم لا يؤمن به؟ إن هذا إلا اختلاق.

رابعًا: أبو طالب ينصر الدعوة جهرًا بداية الرسالة

والدليل على ذلك ما ذكره الشيخ أبو على القفال النيسايورى فى «روضة الواعظين»، وابن الأثير فى «أسد الغابة»، وصاحب «السيرة الحلبية» وغيرهم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مر أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله ﷺ وهو فى المسجد الحرام يصلى وعلي عليه السلام عن يمينه وهى صلاة خاصة قبل فرض الصلاة، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك، فتقدم جعفر وتأخر علي، واصطفا خلف رسول الله ﷺ حتى قضى الصلاة، فأظهر أبو طالب السرور، ثم انبعث يقول:

إن عليًّا وجعفرًا ثقتى	عند ملم الزمان والنوب
لاتخذلا وانصرا ابن عمكما	أخى لأمى من بينهم وأبى
والله لا أخذل النبى ولا	يخذله من بَنِيَّ ذو حسب

وذكر صاحب موسوعة المصطفى والعترة أن سيدنا عمران بن حصين الخزاعى قال: كان والله إسلام جعفر بأمر من أبيه، ولذلك لما قضى جعفر صلاته قال له النبى ﷺ: «يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما فى الجنة»، وهذه واحدة من دلائل نبوته ﷺ، ونلاحظ على هذا الموقف ما يلى:

أولًا: أن السيد أبا طالب أقر ابنه الإمام عليًّا على إسلامه وصلاته، وأمر ابنه الثانى جعفرًا بأن ينضم إلى أخيه فى الصلاة.

ثانيًا: يظهر أن السيد أبا طالب كان عارفًا بأحكام الصلاة حين قال: (صل جناح ابن عمك).

ثالثًا: من المعلوم أن الولد هو أعز ما يحرص الإنسان على نشئته وفق إرادته ومعتقداته بل وعاداته، وبخاصة فى ذلك العصر من الزمان وكذلك البيئة القبلية من المكان كان هذا هو ديدن ناس ذلك الأوان، كما سجله كذلك القرآن حكاية عنهم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

رابعًا: لم يكتف السيد أبو طالب بأمرهما بالصلاة خلف النبى فحسب، وإنما هو يمدحهما ويثنى عليهما بشعر سجل فيه سعادته بذلك، وأمرهما بنصرته وعدم خذلانه، ويقسم على ألا يصدر منه، ولا من أحد بنيه خذلان له أبدًا، فهل تصدر كل هذه الأمور من كافر؟!!

المطلب الثالث

دور أبى طالب فى الدفاع عن الرسول ﷺ والرسالة

أولًا: قريش تمشى لأبى طالب

ذكر الطبرى فى «تاريخه» وصاحب «السيرة الشامية» وصاحب «السيرة الحلبية» وابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة» وغيرهم: أن رسول الله ﷺ لما بادى قومه بالإسلام وصرح به ـ كما أمره ربه ـ لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، وكان ذلك سنة أربع من بعثته ﷺ، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون.

وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لأمره لا يرده عنه شىء.

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يرضيهم من شىء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا دفاع أبى طالب عنه، وقيامه دونه، وامتناعه من أن يسلمه، مشى إليه رجال من أشراف قريش، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آراءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه.

فقال لهم أبو طالب قولًا رقيقًا وردهم ردًّا جميلًا، فانصرفوا عنه.

ونلاحظ هنا: أن معرفة أبى طالب لقريش ليست كمعرفة غيره بها، فهو على وعى تام بما يدور فى خلد قريش، وما هى نقاط الضعف والقوة عندهم، كما أنه كان على دارية تامة لكيفية طبخ القرارات السياسية عند القرشيين؛ لأنه القريب من موقع القرار والرءوس المدبرة له.

لذلك، فإن دعمه للرسالة والرسول يحتاج إلى منهج توعوى يتم بواسطته استيعاب تلك القوى. ومن هنا، نجد أن أبا طالب قد مارس عدة أساليب تكشف بدورها عن الدور العظيم الذى قام به لصالح الإسلام.

ـ بعد أن ردهم أبو طالب مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم تزايد الأمر بينهم وبينه تباعدًا وتضاغنًا، حتى أكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها، وتذامروا أى تلاوموا فيه، وحض بعضهم بعضًا عليه، فمشوا إلى أبى طالب مرة ثانية، فقالوا:

يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، فإما أن تكفه عنا، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين. ثم انصرفوا.

وهنا أدرك أبو طالب إصرار قريش، فقال للرسول ﷺ: يا ابن أخي! إن قومك قد جاءونى فقالو لى كذا وكذا، فأبق على وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق.

فأجاب الرسول ﷺ موضحًا بأنه سيواصل مواجهته لقريش حتى إظهار الدين، وجاء بذلك بقوله ﷺ: **«والله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»**.

ثم استعبر باكيًا وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب: أقبل يا ابن أخي، فأقبل راجعًا، فقال له: اذهبَ يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا.. ثم قال أبو طالب:

واللهِ لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ما عليك مخافة	وأبشر وقر بذلك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينًا قد علمت بأنه	من خير أديان البرية دينا

بهذه الكلمات علمت قريش أن رسول الله ﷺ وراءه قوة لا يمكن أن يتجاوزها قد تمثلت فى أبى طالب، وأدركت أن السكوت سوف لا يبقى عليها ولا يذر، فصعدت قريش من خططها، واجتمعت عدة اجتماعات، وتحاوروا فيما بينهم وقرروا عدة قرارات لعلها تثنى الرسول وعمه أو تساهم فى عزل رسول الله عن بنى هاشم وبنى عبد المطلب، وبالتالى يتخلصون من هذا الخطر العاصف بملكهم.

الرسول سلعة فى سوق البيع والشراء

لقد كان من سفه العادين وسوء رأيهم أن استجاشوا براعتهم فى شئون التجارة، فخالوا الرسول سلعة فى سوق البيع والشراء يسهل عليهم اقتناؤها لو أثمنوا لها ثمنًا يجزل الجزاء للبائع وتسخو به يد المبتاع، تصوروا المقايضة عليه أمرًا لا يرده ذووه.. فرأوه كمتاع مرتين.

فى الأولى ذهبوا إلى عمه يقولون: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش

وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا فهو خير لك، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى خالف ديننا ودين آبائنا، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

فتعجب أبو طالب لضعف رأيهم، ونقص عقلهم، وازداد تعجبًا لأنهم أناس تراهم العرب سادة الرأى بين ذوى الآراء، وعلى قمة الحكمة بين الحكماء، وقال بامتعاض: لبئس ما تسومونني، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى لتقتلوه... هذا والله ما يكون أبدًا، أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها؟!!

قال: فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي:

والله يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تقبل منهم شيئًا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ، فاصنع ما بدا لك أو كما قال، فحقب الأمر وحميت الحرب، وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضًا، ووصف أبو طالب حال القوم قائلًا فى قصيدة مذكورة فى كتاب «السيرة لابن هشام ج١ ص٢٦٢ ـ ط دار المنار» أذكر منها:

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر
وما ذاك إلا سؤدد خصنا به ... إله العباد واصطفانا له الفخر
رجال تمالوا حاسدين وبغضه ... لأهل العلى فيثنهم أبدًا وتر
وليد كان أبوه عبدًا لجدنا ... إلى علجة الزرقاء حال بها السحر

وفى الثانية مضوا إلى أبى طالب ومعه ذووه من بنى عبد المطلب وبنى هاشم ليشتروا منهم الرسول ﷺ قالوا لهم: خذوا منا دية مضاعفة، ويقتله رجل من قريش، فتريحونا وتريحوا أنفسكم!!

فكان عجبًا من العجب أن تحملهم الحماقة على المعادلة فى كفتى ميزان، بين الرسول الأعظم ﷺ وبين حفنة من المال، وباءوا كما باءوا من قبل ـ بالهزء والسخرية حتى لتحسبهم ودوا لو خلت صحيفة حياتهم من هذه اللحظات الثقيلة التى أضافت إلى رصيدهم الضخم من الحمق والسعه ذخرًا أضخم من الخسه والنذالة...

دروس وعبر

هذه المحاولات تكشف لنا عدة أمور منها:

أولًا: عدم قدرة قريش على مواجهة أبى طالب بقوة السلاح، ولو كان بمقدور قريش قتل النبى بلا رد فعل من أبى طالب لقتلته إلا أنها كانت تحسب ذلك وتخشاه (بالمقاييس المادية).

ثانيًا: إن المستقر فى ذهن قريش أن النبى ﷺ يعد ابنًا لأبى طالب؛ لذلك فكروا فى تعويضه لعمارة أو بالمال لا تعويض غيره.

ثالثًا: تهدف هذه المحاولات إلى تحييد أبى طالب، وإصرار قريش على مواجهة الرسول ﷺ وقتله، وبالتالى الإيعاز لأبى طالب بأنها سوف لا تقف مكتوفة الأيدى أمام تحدى أبى طالب نفسه.

رابعًا: عدم إفصاح قريش بكفر أو إسلام أبى طالب، وكأن المسألة الخلافية هى تحدى المواقع التى تتبناها قريش. وهذا لا يمكن السكوت عليه وأعيتهم الذرائع، وضاقت بهم الأسباب، فهل من حل، هل من وسيلة أو حيلة؟

وأنى لهم وهذا الرجل ـ أبو طالب ـ يسد عليهم أفق خلاصهم من ابن أخيه كمارد مريد كصخرة هائلة على فم جارٍ إلى واد؟ كعظمة نشبت فى حلوقهم، فلا هى تبلع ولا هى تدفع، وإنما تمنع الشهيق والزفير، وتشل الهواء أن يمد بالحياة النحور والصدود؟

إنه لهم بالمرصاد، يحامى عن رسول الله كما يحامى عن عرينه ليث غاب، وهو فى أرساغهم أصفاد، وفى رقابهم أغلال، وفى عراقيبهم قيود. ما من يوم شاع فيه منه نية العدوان على النبى ﷺ أو أحس تبييتهم الغدرية حتى حاجز بينه وبينهم كالطود لم يخش منهم طالما ساقوه من وعيد وتهديد، ولا عزة نفر ولا شدة أيد. وكان شعاره الذى أثر عنه.

(لا أخذل النبى، ولا يخذله من بَنِيٍّ ذو حسب).

ثانيًا: دعوة أبى طالب لبنى هاشم

(١) **ذكر صاحب «السيرة الشامية» وابن هشام فى «سيرته»**: أن أبا طالب قام فى بنى هاشم وبنى عبد المطلب. فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ، والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه. إلا ما كان من أبى لهب، عدو الله...

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره فى جدهم معه وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ومكانه منهم؛ ليشد لهم رأيه وليجمعوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يومًا قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أنساب عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يومًا فإن محمدًا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديمًا لا نقر ظلامة ... إذا ماثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما ... بأكنافها تندى وتنمى أرومها

(٢) هتك حرمة الرسول ﷺ

صعدت قريش من خططها، وكانت وسيلتهم فى ذلك عزل الرسول ﷺ عن بنى هاشم الذين أعلنوا بلسان أبى طالب أنهم حماة النبى ﷺ، وأن أى اعتداء عليه هو بمثابة إعلان لحرب لن تضع أوزارها حتى يفنى الهاشميون والبطون معًا؛ لذلك قرروا هتك حرمة الرسول وإساءته.

فقد ذكر «القرطبى ٦/ ٤٥٦» وغيره: روى أهل السيرة أن النبى ﷺ قد خرج إلى الكعبة يومًا وأراد أن يصلي، فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثًا ودمًا، وأساء به إلى النبى ﷺ، فانفتل النبى من الصلاة ولم يكلمهم.

وهنا ملحوظة: لم يكن هذا السكوت من رسول الله ﷺ عن ضعف أو قلة؛ لأنه ﷺ مؤيد من الله ـ تعالى ـ بجنود لم يروها، وكان لا يقابل السيئة بمثلها استئلافًا للقلوب، وطمعًا فى هدايتها... تركهم رسول الله ﷺ وأتى عمه أبا طالب، فقال: «يا عم! ألا ترى إلى ما فعل بى؟» فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبى ﷺ: «عبد الله بن الزبعرى».

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم.. وأبو طالب يعلم من حرك هذا الفكرة، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفى، فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بنى من الفاعل بك هذا؟ فقال: «عبد الله بن الزبعرى»، فأخذ أبو طالب فرثا ودمًا فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وساء لهم القول.

(٣) إشاعة مقتل النبى ﷺ

بعد هذه الحادثة رأت قريش ألا مناص لهم ليحفظوا هيبتهم فى العرب من أخذ النبى ﷺ أخذة باطشة من وراء ظهر أبى طالب فيصيح الشيخ على ابن أخيه وهو صريع قد لقى حتفه غيلة، وثأره مفرق بين قبائل قريش، لا يدرى أحد أينا القاتل الذى يقع على رأسه دم القتيل.. ولكن العم اليقظ الواله شم الريح، فماذا فعل؟!!

ذكر ابن سعد فى الطبقات، والفقيه الحنبلى إبراهيم بن على الدينورى فى نهاية الطلب: أن أبا طالب كان لا يغيب صباح النبى ولا مساءه، ويحرسه من أعدائه، ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقده فلم يره وأصبح الصباح فطلبه فى مظانه، فلم يجده فلزم أحشاءه، وقال واولداه، وجمع عبيده ومن يلزمه فى نفسه، وقال لهم: إن محمدًا قد فقدته فى أمسنا ويومنا هذا، ولا أظن أن قريشًا قد اغتالته، وكادته، وقد بقى هذا الوجه ما جئته وبعيد أن يكون فيه، واختار عشرين رجلًا، فقال:

امضوا وأعدوا سكاكين، وليمض كل واحد منكم وليجلس إلى جنب سيد من سادات قريش، فإن أتيت ومحمد معى فلا تحدثن أمرًا، وكونوا على رسلكم حتى أقف عليكم، وإن جئت وما محمد معى، فليضرب كل منكم الرجل الذى إلى جانبه من سادات قريش.

فمضوا وشحذوا سكاكينهم، ومضى أبو طالب فى الوجه الذى أراد ومعه رهط من قومه. فوجده فى أسفل مكة قائمًا يصلى إلى جنب صخره، فوقع عليه وقبله، وأخذ بيده وقال: يا ابن أخى، قد كدت أن نأتى على قومك، سر معى، فأخذ يده وجاء إلى المسجد، وقريش فى ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده فى يد النبى ﷺ قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد إن له لشأنًا. فلما وقف عليهم والغضب فى وجهه، قال لرجاله:

أبرزوا ما فى أيديكم، فأبرز كل واحد منهم ما فى يده، فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: ما ترون، إنى طلبت محمدًا فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا قد كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون، وقلت لهم إن جئت وليس محمد معى، فليضرب كل منكم صاحبه الذى إلى جنبه، ولا يستأذنى فيه ولو كان هاشميًّا، فقالوا: وهل كنت فاعلًا؟ فقال: إى ورب هذه وأشار إلى الكعبة، فقال له المطعم بن عدى، وكان من أحلافه: لقد كدت تأتى على قومك؟ قال: وهو ذلك. فرجعت قريش على أبى طالب بالعتب والاستعطاف، وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم، ومضى برسول الله ﷺ وهو يقول:

لقد أكرم الله النبى محمدًا فأكرم خلق الله فى الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وأنا أقول: هذا الشيخ يروقه أن يضحى بكل قومه دون نبى الإسلام، وقد تأهب لأن يطأ القوميات كلها، والأواصر المتشجة بينه وبين قريش بأخص الدين، فحباها الله من عاطفة الهبة، وآصرة دينيه هى فوق أواصر الرحم.

(٤) دور أبى طالب فى الهجرة إلى الحبشة

عجزت قريش عن أن ترد على قوة الحجة والمنطق لدعوة الإسلام، فبدءوا يفتنون من أسلم عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله من أهل الإسلام، فافتتن من افتتن، وعصم الله منهم من شاء حتى ضاق بالمسلمين المقام فى مكة وحملتهم المحنه على التفكير فى وسيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم... فنزلت سورة الزمر، وفيها إشارة شبه صريحة إلى الهجرة.

فقد أعلنت بعض آياتها الكريمة أن فى أرض الله متسعًا لمن يضيق عليهم من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

فأمرهم رسول الله بالهجرة إلى الحبشة لعدة أسباب.

أولًا: كونها بعيدة عن نفوذ الفرس والروم وقريش، والتى لا يمكن للقرشيين أن يصلوا إليها على خيولهم أو رواحلهم. ولا يملكون السفن التى تستوعبهم لحملهم عبر البحر إلى سواحل الحبشة.

ثانيًا: سلامة شعبها من الشبهات والمكر والدهاء التي عليها الفرس والروم والعرب وخاصة قريش، فكانت أقرب للفطرة والحق.

ثالثًا: أن ملكها النجاشي، يمتاز بصفات حميدة أهمها: العدل، والإحسان، وحسن السيرة والسريرة.

لأجل ذلك كله، اختار الرسول ﷺ أرض الحبشة للمهاجرين من أصحابه المؤمنين، وكان عددهم في الهجرة الأولى خمسة عشر إنسانًا بين رجل وامرأة، وكان عليهم عثمان بن مظعون وقيل عثمان بن عفان، وقيل لم يكن لهم أمير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وجاءتهم الأخبار بزوال عهد المحنة ومهادنة قريش للمسلمين، فاختار بعضهم العودة إلى مكة والعيش مع رسول الله ﷺ، وكان ذلك فى شهر شوال من السنة نفسها، ففوجئوا بأن الأمر بيد المشركين بل ازداد سوءًا، فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة مرة ثانية إلى الحبشة، وخرجت قافلتهم أوسع من سابقتها، فقد بلغوا ثلاثة وثمانين رجلًا وثمان عشرة امرأة، وكان عليهم هذه المرة سيدنا جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه زوجته أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأراد اقتناص هذا السرب الصغير من الطيور المهاجرة على حين غفلة منها، وهى فى عُشِّها الحبشى الجديد، فإذا الصيادون يلقون الخيبة وبطارقته وأساقفته ومن إليهم من قساوسة ورهبان يحاولون تنغيص الحياة على المهاجرين فأرسلوا في أثرهم عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد يوسوسان في أذن العاهل الحبشي، فيدسان ماشاءا من الدسيسة ويبهتان ماشاءا من البهتان. وقدم رفيقا السوء بين يدى إفكهما هدايا كثيرة لرب الدولة، ذلك أن سادة قريش غرهم صاحب الحبشة أنه كان وإياهم على مودة، فأطلقوا فى أثر الفئه المسلمة النازلة ببلاده رجلين لينهشا سمعة المهاجرين، ويوغرا عليهم صدر النجاشى، عسى أن يسلمهم لفتك الشرك، أو يوردهم مورد الهلاك.

إلا أن محامي الرسول والرسالة، سيد البطحاء أبا طالب حث النجاشي على ضرورة إكرام المهاجرين؛ لأن أبا طالب كانت له علاقة طيبة مع النجاشي، وذلك بقوله الذي ذكره الحاكم في المستدرك وابن هشام في سيرته، أرسل أبياتًا للنجاشي يحثه على حسن جوارهم والدفاع عنهم:

تعلم مليك الحبش أن محمدا ... نبي كموسى والمسيح ابن مريم
أتى بهدى مثل الذي أتيا به ... فكلٌّ بأمر الله يهدى ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث المرجم
وأنك ما تأتيك منا عصابة ... بفضلك إلا عادوا بالتكرم
فلا تجعلوا لله ندًّا وأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم

وجاء جواب النجاشي سريعًا بعدما تبين له وجه الحق فيما حدثه به عن الإسلام سيد المهاجرين في الحبشة جعفر بن أبي طالب وما أسمعه من آيات القرآن، فقال لرجاله: ردوا عليهما ـ أى عمرو وعمارة ـ هداياهما، ونادى بوافدي الشرك فطردهما من بلاده قائلًا: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكم.

وقال لطليعة المؤمنين: ما أحب أن يكون لي جبل من ذهب وأن أوذي رجلًا منكم، فانزلوا حيث شئتم بأرضي، ألا من سبكم غرم! ألا من سبكم غرم!!

وأفاء عليهم ما وسعه أن يفيء من حماية ودعاية وتكريم..

(٥) خلوة شعب ابي طالب

ثم طلب رسول الله ﷺ من عمه أبي طالب أن يوفر له خلوة يربي فيها الرجال الذين سيحملون أمانة الدعوة، فجهز عمه شعب أبي طالب؛ ليكون أول مدرسة تربوية لتخريج الرجال في تاريخ الإسلام.

وهنا أدركت قريش ألا مناص من ضربة قاصمة تحسم ما بينهم وبين خصمهم، يكون بعدها الخلاص. وفعلًا اتفقوا على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب.. وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بالكعبة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، كانت مقرراتها ما يلى:

١ ـ أن لا ينكحوا أحدًا من بني هاشم وبني عبد المطلب.

٢ ـ أن لا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا.

٣ ـ أن لا يبيعوا منهم شيئًا ولا يبتاعوا.

٤ ـ أن لا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله.

فعلى أى نحو مضت الأحوال في المجتمع المكى آنذاك؟

أما قريش، فقد أجمعت الرأي على إنفاذ عهدها الضارى، كما لم تجمع قط قبل يومها هذا على إنفاذ الرأي، تواصت بالخسة عشائر وقبائل، أفخاذًا وفصائل، بطونًا وعمائر، أسيادًا وعبيدًا، جموعًا وفرادي، جدت في مطاردة خصومها بالقطيعة، وبنوا بينهم وبينهم سدًّا كمثل سياج ذي القرنين الذي ضربه حول يأجوج ومأجوج، وقدموهم وليمة شهية لسباع العزلة والحصار وضباع العرى والجوع.

أما بنو هاشم وبنوا المطلب، فقد استقبلوا التحدي بمثله كالبنيان المرصوص، وقفوا مع النبي ﷺ في صف واحد هو العزم والإصرار، وتقدموا إلى البلاء غير هيابين وكانت أرواحهم في أيديهم، وما يضيرهم لو سخوا بها ما داموا على إباء وكبرياء؟

وأما أبو لهب، فقد شذ عنهم وظاهر وحدة حزب الطغيان على آله، وخرج على بني

أبيه، يتبع امرأته، كان لها كالظل، إذا وقفت وقف وإذا سارت سار، وكان قوله حرفًا بحرف، وكلمة بكلمة، صدى للغو حمالة الحطب، كتردد تعيب غراب في بناء خراب، أو تعليق بومة بين أنقاض أطلال.

أما أبو طالب، فقام يحذرهم الحرب وقطيعة الرحم، وينهاهم عن اتباع السفهاء، ويعلمهم استمراره على مؤازرة الرسول ﷺ بكل ما يستطيع من قوة، ويذكرهم على فضله وشرفه، ويضرب لهم المثل بناقة صالح ويذكر بإلغاء أمر الصحيفة بقوله:

ألا أبلغا عني على ذات بيننا ... لؤيًّا وخصا من لؤى بني كعب
ألم يعلموا أنا وجدنا محمدا ... نبيًّا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ... ولا خير ممن خصه الله بالحب
وأن الذي ألصقتم من كتابكم ... لكم كائن نحسًا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ... ويصبح من لم يجن ذنبًا كذى ذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربًا عوانًا وربما ... أمر على من ذاقه جلب الحرب
فلسنا وَرب البيت نسلم أحمدا ... لعزاء من عض الزمان ولا كرب

دخل بنو هاشم وبنو المطلب الشعب، واستمروا فيه ثلاث سنوات، ينعمون فيه بروحانية يفدونه بأعز ما يملكون، فكان عمه أبو طالب يحمل سيفه ويمشي خلفه نهارًا ويحرسه عمه الحمزة حتى الصباح، وكان أبو طالب عندما يرى رسول الله ﷺ أحيانًا يبكي ويقول:

إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله والد النبي أخاه لأبويه، وكان أبو طالب في الشعب كثيرًا ما يخاف على النبي ﷺ البيات في مكان معين، فإذا أخذ الناس مضاجعهم، واضطجع النبي ﷺ على فراشه، ورآه جميع من في الشعب ونام الناس جاء وأقامه واضجع الإمام عليًّا مكانه وقاية له، فقال له الإمام على ليلة: يا أبتي إني مقتول، فقال له ما ذكره ابن ابي الحديد في «شرح نهج البلاغة».

اصبرن يا بني فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغرذي الحسب الثاقب ... والباع الكريم والنجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى ... فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تملى بعمر ... أخذ من مذاقها بنصيب

فأجابه الإمام علي ـ عليه السلام ـ بقوله:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... ووالله ما قلت الذي قلت جازعَا
ولكني أحببت أن ترى نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعَا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد ... نبي الهدى المحمود طفلًا ويافعَا

أليس هذا الموقف وحده يكفي دليلًا على إسلام أبي طالب

إن القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حد محدود، لكنه إذا بلغت حد التضحية بالولد كأمير المؤمنين، وهو أحب العالمين إلى والده، فهناك يقف التفاني على موقفه، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه للقتل كل ليله فينيمه على فراش المفدى، ويستعوض منه ابن أخيه، إلا أن يكون مندفعًا بذلك بدافع ديني. وهو ما يعني اعتناق أبي طالب بالدين الحنيف، وهو الذي تغطيه المحاورة الشعرية بين الوالد والولد، يسارح بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد بأن هذا التهالك ليس إلا بدافع قولي. غير فاتر عن حض ابنه على ما يبتغيه من النصرة، ولا متثبط عن النهوض بها (فسلام الله على والد وما ولد)

نعم، لا يفعل ذلك إلا من آمن بقوله ﷺ **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**. وهذا ما يؤكد أن رسول الله ﷺ كان أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه ومن الناس أجمعين.

(٦) بشائر المصطفى لعمه ولأمته

وقطع الصمت دخول أبى طالب ليحكي للنبي أخبار مكة، فيرد عليه النبي ﷺ ردًّا أنهى الحصار الظالم وأعطى شهادة إتمام التربية للرجال فى شعب أبى طالب؛ حيث قال: **«ياعم إن الله قد سلط الأرضة على الصحيفة، فلم تدع فيها اسمًا هو لله إلا وثبتته فيها، ونفت**

منها الظلم والقطيعة والبهتان»، قال أبو طالب والفرحة في وجهه تغلب على الدهشة: أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال أبو طالب: لا، والثواقب ما كذبتني. وهنا درس عظيم يجب أن نتعلمه، عندما تريد المشيئة الإلهية يتحقق المستحيل، تنقلب الأوضاع، تتغير المعايير، تبطل النواميس البشرية، وتعمل أخرى ربانية، تدحض مايوقن العقل الإنساني أنه الحتمي اللازم، والمنطقي المقبول، لتأتي دونه بما هو معجز غير معقول، ومخالف لطبيعة الأمور.

ويوم الأرضة من هذا القبيل.

حجة بالغة: ينقلها المتحدث الرسمي باسم نبي الإسلام.

اخترق عليهم السيد أبو طالب ناديهم ثابت الخطى صلب الأسارير. فلما وقف على رءوس أشرافهم أدار فيهم نظرة صارمة، ثم رماهم بالخبر اليقين الذي لا يحسب أحد أن غيره كان أحرى بالقيام به، قال لهم بنبرات قاطعة كالسيوف: ياقوم، إن ابن أخي أخبرني أن الله سلط على صحيفتكم الأرضة، وقد لحست ما كان فيها من جور وظلم وقطيعة رحم، وبقي فيها ما ذكر به اسم الله. بغتتهم الدهشة، وشلت منهم الجفون، وغاض اللون من وجوههم، فانساخت بها الملامح، وتداخلت معالمها.

وأكمل الشيخ أبو طالب يقول: فإن كان ابن أخي صادقًا نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذبًا دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه، وظلوا هنيهة واجمين، ماذا عساهم يقولون؟ أم كيف يجادلون؟ لكن صوت أحد الخمسة نطق بالرضا، أو أعلن التسليم قال يجيب: قد أنصفتنا، وتابعه على رأيه الأكثرون.

حجة واستكبار

ونشطت إلى الكعبة الجموع كسيل هدار. استبقوا إلى حيث الصحيفة المعلقة بسترها ليستوضحوا حديث شيخ بني هاشم عنها وما في أخلادهم إلا أنه حديث خرافة، ومحض هراء.. والنتيجة الحتمية لهذا الأمر تسفر عن تسليم هذا الذي يزعم أنه نبي فيقتلونه وينفضون أيديهم من نزاع مشي بينهم بالفرقة.. وكان الخمسة في مقدمه السيل، وانبرى من بينهم المطعم بن عدي فاقتطف الصحيفة، ثم رفعها على رءوس الأشهاد ثم بسطها بين يديه.. وتدافع نحوه الناس فإن هى إلا لمحة بالبصر حتى رأوا الصحيفة فارغة وما هى بفارغة قد أمحت كتابتها وبلى جلدها وتخرق إلا موضعًا هنا أو هناك ثبت فيه اسم الله.

وفغروالأفواه، وبهت الذي كفر. بهت أبو جهل، تحجر من وقع البغتة، بدا وهو بين حزبه جسدًا له خوار، كعجل السامري الذي عبده بنو إسرائيل. ثم قال والذين هم من حطب جهنم: سحر! سحر سحر! يؤثر. باأبا طالب، هذا سحر ابن أخيك، فقال أولئك النفر من بني هاشم وبني المطلب: إن أولانا بالسحر والكذب غيرنا.

ذكر صاحب «السيرة الشامية»: قال السيد أبو طالب: يا معشر قريش، علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر، وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة، ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة، فقال:

اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا، ثم أنشد قصيدته العظيمةالتي ذكرها ابن هشام وابن كثير وصاحب «السيرة الشامية» وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، وكلهم من علماء السنة، هذه الأبيات التي اخترناها من القصيدة:

خليلي ما أذني لأول عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل
خليلي إن الرأي ليس بشركة ... ولا نهنهة عند الأمور البلابل
ولما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قومًا علينا أظنة ... يعضون غيظًا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قيامًا معًا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضي خلقه كل نافل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقي الله عاذل
يطاع بنا العدا وودًّوا لو أننا ... تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدًا ... ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وما ترك قوم لا أبالك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
لعمري لقد كلفت وجدًا بأحمد ... وأخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا على رغم العدو المخاتل
فمن مثله في الناس، أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلهًا ليس عنه بغافل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينًا حقه غير باطل

جاء الحق وزهق الباطل:

بعد ما انتهى السيد أبو طالب من قصيدته وهو متعلق بأستار الكعبة، علت صيحة الحق من جنبات الحرم: علام يحبس القوم، ويحصرون وقد بان الأمر؟ وقتل الخرصوان، فلم ينبس أبو جهل أخو الجهالة بكلمة واحدة.

وعاد أبو طالب ورفاقه إلى الشعب بالبشرى، وكل من في الشعب ينتظر الفرج، وفي طريقه من البيت العتيق إلى الشعب تذكر الذين هاجروا إلى الحبشة يقودهم ابنه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فهتف منشدًا لعله يبلغهم هناك صدى من صوته، فقال فيما ذكر ابن كثير والدكتور محمد عبده يماني والأميني:

ألا هل أتى بحربنا صنع ربنا ... هل نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
جزى الله رهطًا بالحجون تتابعوا ... على ملأ يهدي لخرم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم ... مقاولة بل هم أعز وأمجد
ألا إن خير الناس نفسا ووالدًا ... إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الإله والكريم بأصله ... أخلاقه وهو الرشيد المؤيد
جرىء على كل الخطوب كأنه ... شهاب يكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لؤي بن غالب ... إذا سيم خسفًا وجهه يتربد

عظيم الرماد سيد وابن سيد يحض على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لأبناء العشيرة صالحًا إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

ووصل صوته إلى كل من في الشعب، فَهَبَّ من نومه من كان نائمًا، وأخذ كلٌّ يهتف بالبشرى، وصاح المسلمون منهم:

الله أكبر، الله أكبر. فقال السيد أبو طالب ما ذكره ابن الأثير في «الكامل»:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

استقبل أصحاب الشعب الحرية رافعي الرءوس، مشدودي القامات، على ثقة وطيدة بالذات، وبجدوى الإصرار والثبات.

وقريش في ذهول من أمرها، فكلما أبرمت أمرًا، وأحست أن فيه نهاية دعوة الإسلام، تجد فيه غير ما أرادت.

(٧) طلب الصلح

بعد فتره من الهدوء يسيرة مضت قريش مرة أخرى إلى السيد أبي طالب ليعقدوا هدنة أو صلحًا، ليكف رسول الله عنهم، ويكفوا عنه. وليدع دينهم ويدعوا دينه.

ذكر ابن هشام في السيرة، فقال أبو طالب: يابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: نعم كلمة واحده يعطونيها يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم:

كلمة واحدة؟ قال: نعم، فقال: أبو جهل: نعم وأبيك.. عشر كلمات، قال ﷺ: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه» فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: يا محمد، تريد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ إن أمرك لعجب.

ثم قال بعضهم لبعض: ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه. وفي هؤلاء نزل قول الله جل وعلا ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ

ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص:١-٧].

فقال السيد أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله بابن أخي، ما رأيتك سألتهم شحطًا، أي: ما سألتهم شيئًا بعيدًا عليهم التماسة وتناوله، بل هو أمر قريب.

ومضت الأيام بعد الحصار وبعض الحوارات مع المشركين متثاقلة، فلم تكن الأشهر التاليات لانحسار الحصار الظالم في شعب أبي طالب خالية من المعاناة، لا هي رخاء، ولا أتت بنصر، ولا تلونت بأمل يملى لهم في الطمأنينه... بل قد كانت أحفل بالآلام أثقل بالهموم، أفدح حملًا من جبال مكة:

وهل من مراء؟

فالأشياء كالأناسي لها بسمات ولها شئون، تفرح وتحزن تضحك ونبكي.. فكم أطاع قوم الله، فتهلل فرحًا لطاعتهم الوجود! وكم عصى غيرهم وكفروا بأنعم الله، فأعجلهم بعذاب مهين، وسخط لمعصيتهم الوجود. قال تعالى عن قوم فرعون:

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾[الدخان:٢٩].

(٨) وصية أبي طالب الخاصة

ذكر سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»: لما دخلت السنة العاشرة من النبوة مرض أبو طالب أي بعد الخروج من الشعب بحوالي شهر، وكان قد قام بأمر الرسول ﷺ من السنة الثامنة لمولده الشريف إلى هذه السنة وهى العاشرة من البعثة. مدة اثنتين وأربعين سنة. ولما علمت قريش بمرض أبي طالب تعاقدوا، لئن مات أبو طالب: ليجمعن القبائل على قتله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأوصاهم الوصية الخاصة التي ذكرها ابن سعد في «الطبقات الكبرى»، وسبط ابن الجوزي في «التذكرة»، والسيوطي في «الخصائص الكبرى»، وصاحب «السيرة الحلية» قال:

لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا. وفي لفظ: يا معشر بني هاشم! اطيعوا محمدًا وصدقوه تفلحوا وترشدوا.

ثم أنشأ يقول:

أوصى بنصر بني الخير أربعة ... ابني عليًّا وشيخ القوم عباسَا
وحمزة الأسد المخشى صولته ... وجعفر أن تذودوا دونه الناسَا
وهاشمًا كلها أوصى بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسَا
كونوا فداء لكم أمي وما ولدت ... في نصر أحمد دون الناس أتراسَا

وصية أبي طالب العامة، ولقد ذكرتها في نهاية الفصل الأول، ولكن أعيدها هنا لكي نعلق عليها لأهميتها لموضوعنا:

ذكر الإمام أبو العزايم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه في كتابة «النجاه في سيرة رسول الله»، والسهيلي في «الروض الأنف»، وصاحب «السير الحلبية»، وصاحب «السيرة الشامية»، وصية السيد أبي طالب العامة التي حث فيها قريشًا على اتباع النبي ﷺ فقال:

يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، ففيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبًا إلا أحرزتموه، ولا شرفًا إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة. والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعني الكعبة) فإن فيها مرضاة للرب، وقوامًا للمعاش، وثباتًا للوطأه، صِلُوا أرحاكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق؛ ففيهما هلكت القرون قبلكم.

أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيها شرف الحياة والممات، عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمد خيرًا؛ فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته. وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا، ودورها خرابًا وضعفاؤها أربابًا، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش! ابن أبيكم كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي.

وبعد هذه الوصيه أسلم روحه الطاهرة إلى بارئها. والتحق بالرفيق الأعلى، بعد ما أدى ما عليه تجاه الرسول والرسالة، واختلف علماء المدرستين (السنة والشيعة) في تاريخ الوفاة ابتداء من شهر رجب إلى ذي القعدة في السنة العاشرة بعد الهجرة.

تعليقات هامة على الوصية العامة

ما يعنينا في هذه الوصية أن نتعرف على بعض التعليقات عليها من مدرسة السنة ومدرسة الشيعة، كما يلي:

التعليق الأول للسيد أحمد بن زيني دحلال وهو سني في كتابه «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب»: يقول: فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ما قاله أبو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبي ﷺ:

التعليق الثاني للسيد البرزنجي وهو شيعي يقول: هذا الحديث دليل على إيمان أبي طالب، فبعيد جدًّا أن يعرف أن الرشاد في اتباعه ﷺ ويأمر غيره بذلك، ثم يتركه هو.

التعليق الثالث للدكتور محمد عبده يماني، وهو سني في كتابه «إنها فاطمة الزهراء» يقول: فما تراه من هذه الوصية، وما قاله في ابن أخيه المصطفى ﷺ إلا قد فعل أكثر مما قال، فقد دافع عنه بكل ما يملك من دفاع، وما أوتى من حيله. وحث القوم على البعد عن الإساءة إليه واتباعه، وهو يتمنى لو كان في عمره بقية فيظل يدافع عنه.

التعليق الرابع لحسين الشاكري صاحب «موسوعة المصطفى والعترة»، وهو شيعي، يقول: فانظر هذه الوصية، وتمعن فيها بعين الوجدان والإنصاف والروية، تجدها لعمري من ألمع الحكم وجوامع الكلم، تضمنت مكارم الأخلاق وتنبأت عن المستقبل الزاهر الذي يصير إليه الرسول الأعظم ﷺ. بالله عليك، فهل تصدر هذه الوصية من مشرك كافر بالرسول وبالرساله، أوكل ذلك إلى تقديرك إنك المنصف اللبيب.

التعليق الخامس: وهو للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزايم في كتابه «النجاه في سيرة رسول الله»، وهو إمام من أئمة أهل البيت الطاهرين، مالكي المذهب يقول: نحن أمام رجل خط مسيرته في التاريخ سطورًا، على إشراقة حرف، فكان من المجاهدين في الطليعة، وكان من أنصار المبادئ القويمة، ورسل الإنسانية وهداتها في الرعيل الأول.

رجل كان له في الإسلام شأن، وأبقى أثرًا جميلًا وفضلًا باقيًا، ولكن شاءت الأقدار أن تزوي عنه العيون وتنظر إليه نظرة ظالمة، فراحت تنال منه، وتضع في حقه الأراجيف، وتنال من جوهر الحق، ودواء الفضيلة.

المطلب الرابع

ماذا بعد الوفاة

١- الرسول ﷺ في بيت أبي طالب

ذكر ابن أبي الحديد في «شرح النهج»، وسبط ابن الجوزي في «التذكرة»، واليعقوبي في «تاريخه» وابن سعد في «الطبقات»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وصاحب «السيرة الحلبية»: أن الإمام عليًا جاء إلى رسول الله ﷺ: وآذنه بموت أبيه أبي طالب، فبكى، وتوجع توجعًا عظيمًا، وحزن عليه حزنًا شديدًا، ثم دخل على أبي طالب فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال: **«يا عم، ربيت صغيرًا، وكفلت يتيمًا، ونصرت كبيرًا، فجزاك الله عني خيرًا»**.

ثم قال للإمام علي: **«امض يا علي فتول أمره، وتول غسله وتحنيطه وتكفينه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني»**، ففعل ما أمره به ﷺ. فلما دفعه على السرير، اعترضه النبي ﷺ فرق وحزن، وأبنه بكلمة خالدة فيه، وقال: **«وصلتك رحم، وجزيت خيرًا يا عم، فلقد ربيت وكفلت صغيرًا، ونصرت وآزرت كبيرًا»**، ثم أقبل على الناس وقال:

«أما والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين»، ثم تبعه إلى حفرته في الجحون، فوقف عليه، وقال: **«أما والله لأستغفرن لك، ولأشفعن لك شفاعة يعجب لها الثقلان»**، ودفنه بجوار والده عبد المطلب.

تعليق على هذا الخبر:

فهذا الحديث وحده يكفي للدلالة على إيمان أبي طالب، رضوان الله عليه، من وجهين:

أحدهما: أمر النبي ﷺ الإمام عليًا أن يفعل له ما يفعل بأموات المسلمين من الغسل والتحنيط والتكفين دون الحاضرين من أولاده؛ إذ لم يكن حضر منهم أحد سوى الإمام على من المؤمنين. وأما جعفر، فلقد كان عند النجاشي ببلاد الحبشة؛ وأما طالب وعقيل فكانا يومئذ حاضرين، ولم يسلم واحد منهم بعد، فخص بذلك عليًا عليه السلام بتوليه أمره وتجهيزه لمكان إيمانه، ولم يتركه لهما على رغم أنهما أكبر من علي سنًا لمباينتهما له في معتقده، ولو

كان أبو طالب مات كافرًا لما أمر رسول الله ﷺ عليًّا بتولية أمره لانقطاع العصمة بين المسلم والكافر ولتركه لهما كما ترك عمه الآخر أبا لهب، ولم يعبأ بشأنه ولم يحفل بأمره.

الوجه الآخر: تأبين الرسول ﷺ أبا طالب بهذه الكلمات الرائعة الخالدة، والدعاء له: «وصلتك رحم، وجزيت خيرًا» ووعد أصحابه بالشفاعة له التي يعجب بها أهل الثقلين. وموالاته بين الدعاء له والثناء عليه، لدليل قاطع على إسلام أبي طالب وإيمانه، ولم تكن الصلاة على أموات المسلمين مشروعة غير هذه الصلاة في صدر الإسلام، حتى فرض الله صلاة الجنائز فيما بعد... ويؤكد كل هذه المعاني ما ذكره ابن سعد في «الطبقات» بسند صحيح وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وسبط ابن الجوزي في «تاريخ الخواص» وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، والذهبي في «تاريخ الإسلام»، والسيوطي في «الخصائص الكبرى» عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «**كل الخير أرجو من ربي عز وجل**»، فهل يرجو رسول الله ﷺ كل الخير لكافر!!

٢. شفاعة الرسول ﷺ لأبي طالب تدل على إيمانه؛ إذ لا شفاعة للكافرين؟

لقد ورد في الصحيح أنه ﷺ: قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر** (وفي لفظ) **لمن لم يشرك بالله شيئًا**» واللام للاختصاص مثل الحمد لله، ومعناه: شفاعتي مختصه بأهل الكبائر، فهى لا تكون لمشرك، يعني أن الشفاعة التي تغفر الذنوب يختص بها أهل الكبائر، فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر، والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة؛ لأن كل عذاب في مقابله ذنب، ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذي في مقابلته وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لا تنفعه شفاعة الشافعين. جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين، فتدخل شفاعته ﷺ فإنها لا تنفع الكافرين كما لا تنفعهم شفاعة غيره، وأبو طالب كما يقول معارضو إسلامه قد نفعته شفاعة النبي ﷺ فخفف عنه العذاب، وأخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبي ﷺ. فوجب على ذلك أن يكون من أهل الكبائر، ما عدا الكفر. ووجب أن يخرج من النار؛ لأنه من عصاة الأمة الذين هم في الطبقة العليا، وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة.

وهذا معنى قوله ﷺ: «**أرجو له من ربي كل خير**»

وهذا الحديث ـ كما سبق ـ أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما: أنه سأل رسول الله ﷺ. ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «**كل الخير أرجو من ربي**»، ولا يرجى كل الخير إلا لمؤمن، ولا يجوز أنه يراد بهذا ما حصل من تخفيف العذاب فإنه ليس خيرًا، فضلًا عن أن يكون كل الخير، وإنما هو بتخفيف الشر أهون من بعض، والخير كل الخير دخول الجنة.

٣- ما نالت قريش من رسول الله ﷺ إلا بعد وفاة عمه أبي طالب

وقد ذكر أهل السير: أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذي ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا، فدخل ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: «**لا تبكي بنية، فإن الله مانع أباك**»، وقال: «**ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب**».

٤- ليس لك بها ناصر

ذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، والشيخ يوسف النبهاني في «جواهر البحار» ما اتفق عليه المسلمون ليلة وفاة أبي طالب أن جبريل عليه السلام هبط على رسول الله ﷺ وقال: «**يا محمد، أخرج من مكة، فليس لك بها ناصر**»، وفي رواية: «**ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن قومك قد عولوا على أن يبيتوك وقد مات ناصرك، فأخرج عنهم**» فقل لي ياذا الرجاحة والعقل ما وزن هذا الرجل الذي كانت حياته في مكة حياة الدعوة الإسلامية وحياة نبيها، ووفاته بمكة تعريض لهما إلى الضياع والفناء؟

تعليق: تأمل بارك الله فيك إضافة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أبا طالب ـ رحمه الله ـ إلى النبي ﷺ وشهادته له أنه ناصره، فإن ذلك لأبي طالب أو في وأعظم فخر.

وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطًا لهم مع ما سمعوا من شعره وتوحيده وتصديقه للنبي ﷺ. ولم يمكنهم قتله أو المنابذة له؛ لأن قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة، ولذلك قال أبو لهب لما سمع قريشًا يتحدثون في شأنه، ويفيضون في أمره: دعوا عنكم هذا الشيخ فإنه مغرم بابن أخيه، والله لا يقتل محمد حتى يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتى يقتل بنو هاشم كافة، ولا يقتل بنو هاشم حتى يقتل

بنـو عبد منـاف، ولا يقتل بنو عبد مناف حتى يقُتل أهل البطحاء، فأمسـكوا عنه وإلا ملنا معه، فخاف القوم أن يفعلوا فكفوا.

٥- رثاء الإمام على لأبيه

معلوم أن الابن هو خير من يتكلم عن أبيه، وخصوصًا إذا كان هذا الابن رباه رسـول الله ﷺ وأدبـه وعلمه، فاسـتحق أن يكون مولى كل مؤمن ومؤمنة. الابـن هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قال: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله ﷺ من نفسه الرضا، وقال: إن أبي حين حضره الموت شـهده رسـول الله ﷺ فأخبرني عنه بشـيء خير لي من الدنيا وما فيها.

وذكر الإمام السيوطي في «التعظيم والمنة» وفي «مسالك الحنفا»، ومحب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» وابن أبي الحديد في« شرح نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: **«هبط جبريل على رسول الله ﷺ فقال: يامحمد! إن الله مشفعك في ستة: بطن حملتك آمنه بنـت وهـب، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد الملطـب، وحجر كفلك أبي طالب، وبيت أواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، وثدي أرضعك حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب».**

لذلك، لا تعجب وأنت تسمع رثاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حق أبيه أبي طالب.

فقد ذكر سـبط ابن الجوزي في «تذكره الخواص»، والأمينى في «الغدير»: أن الإمام عليًّا ـ كرم الله وجهه ـ قال في رثاء أبيه:

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيـث المحـول ونـور الظلم
لقد هد فقـدك أهل الحفاظ ... فصـلى عليـك ولي النعـم
ولـقـاك ربـك رضـوانـه ... فقد كنت للطهـر من خير عم

تعليق: تأمل ما ضمنه كلام الإمام عليه السلام من معان جليلة في أبياته هذه من الترحم والدعاء. فلـو كان أبـو طالب مـات كافرًا لما كان يصلي عليه الرسـول ﷺ ويترحم عليـه، ويعلن على المـلأ شـفاعته له، وترحم عليـه أمير المؤمنين الإمام علـي ابنه بهذا التأبيـن الرائع بعد موته. فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم ودافع عن حوزة الإسلام، ويوم مات، ويوم يبعث حيًّا.

٦. أشعار أبي طالب في نصر الإسلام

لقد ذكرت في الصفحات السابقة العديد من أشعار أبي طالب التي جهر فيها بنصرة النبي ﷺ ونصرة الإسلام، لكن بعض الناس مهما ذكرت من أدله إسلام هذا الرجل لا يقبلون ذلك لأن في السيد أبي طالب سرًّا لا يثبت إيمانه بألف دليل ، وإيمان غيره يثبت بقول مجهول ودعوى مجردة، ولكنا لن نمل من ذكر أدلة إسلامه، عسى أن نصادف أهلها.

والآن إلى مزيد من أشعاره الواضحة في إثبات الغرض.

أولًا: ذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» أن عبد الله المأمون ـ رحمه الله ـ كان يقول أسلم أبو طالب بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق
أذب وأحمى رسول الإله حماية حام عليه شفيق

ثانيًا: ذكر ابن أبي الحديد في «شرح النهج» وغيره عن الإمام على أنه قال: قال لي أبي: يابني! الزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل، ثم قال لي أبي:

إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته على أيديكا

ثالثًا: ذكر ابن أبي الحديد والأميني شعرًا لأبي طالب يمدح فيه رسول الله ﷺ يقول فيه:

لقد أكرم الله النبي محمدًا فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

أخرجه البخاري في «تاريخه الصغير»، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»، وابن عساكر في «تاريخه»، وابن حجر في «الإصابة»، والقسطلاني في «المواهب اللدنية»، وكلهم من مدرسة أهل السنة.

رابعًا: ذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» قول أبي طالب العظيم

يا شاهد الله على فاشهد أني على دين النبي أحمد
من ضل في الدين فإني مهتد

تعليق: اقرأ إن شئت تعليق ابن أبي الحديد على هذه الأشعار بقوله: (فكل هذه الأشعار

قد جاءت مجيء التواتر؛ لأنه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواتر).

ويقول ابن شهر أشوب في كتابه «متشابهات القرآن» عند قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠] إن أشعار أبي طالب التي تدل على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت.

خامسًا: اتفق كثير من علماء المدرستين (السنة والشيعة) على أن القصيدة اللامية التي قالها أبو طالب عند نقض الصحيفة في الكعبة أمام الآلاف من الناس تكفي دليلًا على إيمانه والتي يقول في بعض أبياتها، وقد ذكرتها قبلًا

لعمري لقد كلفت وجدًا بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالًا لأهلها ... وزينًا على رغم العدو المخاتل
فمن مثله في الناس، أي مؤهل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلهًا ليس عنه بغافل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينًا حقه غير باطل

٧- حكمة إخفاء إسلامه

ويبقى السؤال المتكرر دائمًا: لماذا أخفى أبو طالب إسلامه أمام قريش:

يجيبنا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزايم ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ في كتابه «النجاه في سيرة رسول الله» بقوله: والحقيقة أن سيدنا أبا طالب ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ هو رجل السياسة الأول في دعوة الإسلام، فالشواهد التي مرت من كلام الكهان وعلامات النبوة جعلته يؤمن بسيدنا محمد رسول الله ﷺ من البداية سرًّا، وأظهر عدم النطق بكلمة الإسلام حتى يتمكن من فض المنازعات بين الرسول الكريم وبين صناديد الكفر والشرك في قريش، وكان له ما أراد، والأدلة على ذلك كثيرة.

وذكر الحافظ سليمان القدورى الحنفي في «ينابيع المودة الباب السادس والخمسين» ما يلي: أظهر الحمزة إسلامه لشجاعته وقوته فكان سندًا للإسلام، وأبطن أبو طالب لحكمته ودرايته كي يفض المنازعات، وأسلم العباس قديمًا وكتم لنقل الأخبار من مكة إلى المدينة، وحماية للمستضعفين.

المطلب الخامس

والحديث في هذا المطلب نتحدث فيه عن:

أولًا: موقف النبي ﷺ من أبي طالب.

ثانيًا: موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من أبي طالب.

ثالثًا: موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم من أبي طالب.

رابعًا: الجذور التاريخية لتكفير أبي طالب.

خامسًا: الخاتمة. وإليك التفاصيل:

أولًا: موقف النبي ﷺ من أبي طالب: كان رسول الله ﷺ يحب أبا طالب، ويثني عليه طيلة حياته، ولا يمكن فصل حياة أبي طالب عن سيرة رسول الله ﷺ. وسوف أقوم بذكر بعض الروايات على سبيل الاختصار، والتي تبين رأي رسول الله ﷺ في أبي طالب ومستوى العلاقة بينهما:

١- أخرج ابن عبد البر في «الاستيعاب»، والبغوي والطبراني كما في «ذخائر العقبى» لمحب الدين الطبري، وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، وقال: قالوا: اشتهر واستفاض هذا الحديث، والهيثمي في «مجمع الزوائد» قال: رجاله ثقات، عن رسول الله ﷺ أنه قال لعقيل ابن أبي طالب: «**يا أبا يزيد، إني أحبك حبين: حبًّا لك، وحبًّا لحب أبي طالب؛ فإنه كان يحبك**»، أليس هذا شاهد صدق على أن النبي ﷺ كان يعتقد إيمان عمه، وإلا فما قيمة حب كافر لأي أحد حتى يكون سببًا لحبه ﷺ أولاده؟ ولقد قال جمال الدين اليمني في «شرح بهجة المحافل» عند شرح الحديث: (ومن شأن المحب محبة حبيب الحبيب) وذكر ابن أبي الحديد في «شرح النهج»: أن قومًا قالوا: إن قول النبي ﷺ «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة ـ وأشار بسبابته والوسطى منضمتين مرفوعتين**» إنما عنى به أبا طالب؟

وجاء في كتاب «ليالي بيشاور» للسيد محمد الموسوى الشيرازي ص ٩٠٥: ومن الواضح أنه لم يقصد بحديثة الشريف كل من يكفل يتيمًا، فإنا نجد بعض الكافلين للأيتام لا يستحقون ذلك المقام، وهو جوار سيد الأنام في الجنة لأنهم إلى جنب كفالتهم لليتيم يعملون المعاصي الكبيرة والذنوب العظيمة التي يستحقون بها جهنم لا محالة. ولكنه ـ صلوات الله وسلامه

عليه ـ قصد بحديثه الشريف جده عبد المطلب، وعمه أبا طالب، اللذين قاما بأمره، وتكفلاه، وربياه صغيرًا، حتى أنه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كان يعرف في مكة بيتيم أبي طالب، بعد وفاة جده عبد المطلب، فقد تكفل أبو طالب رسول الله ﷺ وكان في الثامنة من العمر، وكان يفضله على أولاده، ويقيه بهم، وقد ذكر الأميني قول أبي طالب:

إن ابن آمنة النبي محمدا عندي يفوق منازل الأولاد
راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد

٢- استغفار الرسول ﷺ له يوم بدر

ذكر ابن أبي الحديد في «شرح النهج»: أنه ورد في السير والمغازي أن عتبه بن ربيعة أو شيبة (والصواب أنه عتبة) لما قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر، أشبل عليه علي وحمزة فاستنقذاه منه، وخبطا عتبة بسيفيهما حتى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش، فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ وإن مخ ساقه ليسيل، فقال: يارسول الله، لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم وبيت الله نُخلى محمدًا ولما نطاعن دونة ونناضل
وننصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا: إن رسول الله ﷺ استغفر له ولأبي طالب يومئذ. وبلغ أبو عبيدة مع النبي ﷺ إلى الصفك، فمات ودفن بها.

٣- استغفار الرسول يوم نزول المطر

ذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ. في عام جدب، فقال: أتيناك يارسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر، ثم أنشده.

أتيناك والعذراء تدمي لبانها وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع حتى ما يمر ولا يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**اللهم غيثًا مغيثًا، مريئًا هنيئًا، سريعًا سحًّا سجالًا، غدقًا طبقًا قاطبًا دائمًا، تحي به الأرض وتنبت به**

الزرع. وتدر به الضرع، واجعله سقيًا نافعًا عاجلًا غير رائث». فوالله ما رد رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى ألقت السماء أرواقها، وجاء الناس يضجون: الغرق الغرق يارسول الله، فقال: «اللهم حوالينا لا علينا»، فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالأكليل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لله درّ أبي طالب لو كان حيًّا لقرت عينه، من ينشدنا قوله»؟ فقام علي فقال: يارسول الله، لعلك أردت:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: «أجل»، فأنشدة أبياتًا من هذه القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة فأنشده:

لك الحمد والحمد لمن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة إليه وأشخص منه البصر
فما كان إلا كما ساعة أو أقصر حتى رأينا الدرر
دقاق العزالي وحجم البعاق أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قال عمه أبو طالب ذو رواء غرر
به يسر الله صوب الغمام فهذا العيان وذاك الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله يلقى الغبر

فقال رسول الله ﷺ: «إن يكن شعر أحسن فقد أحسنت».

تعليق على الحديث:

(١) قال البرزنجي في «أسنى المطالب»: فقول النبي ﷺ «لله درأبي طالب» يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو يستسقي على المنبر لسره ذلك، ولقرت عيناه، فهذا من النبي ﷺ شهادة لأبي طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبي وتقر عينه، وما ذاك إلا لسرّ وقر في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكمالاته.

(٢) وقال الأميني في «الغدير»: هذا الحديث ذكره الماوردي في «أعلام النبوة» ص ٧٧ وصاحب «السيرة الحلبية»، والسيوطي في «شرح شواهد المغنى ص ١٣٦»، وزيني دحلان في «سيرته: ١/ ٧٨»، وذكر جمع هذا الحديث في استسقاء النبي ﷺ، وحذف منه كلمة «لله در أبي طالب»، وأنت أعرف مني بالغاية المتوخاة في هذا التحريف.

(٣) وقال ابن أبي الحديد في «شرح النهج»: قالو: وحب رسول الله ﷺ لأبي طالب معلوم مشهور، ولو كان كافرًا ما جاز له حبه، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

ثانيًا: موقف أئمة أهل البيت من أبي طالب

أما أئمة أهل البيت، فلم يؤثر عنهم إلا الهتاف بإيمانه الثابت وأن ما كان يؤثره في نصرة النبي ﷺ كان منبعثًا عن تدين بماصدع به النبي ﷺ، وأهل البيت أدري بما فيه، وأبصر الناس بحال أبيهم، وأنهم لم ينوهوا إلا بمحض الحقيقة. قال ابن الأثير في جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.

نعم، هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملء الأفواه، وبكل صراحة، وجابهوا من خالفهم في ذلك، وإليك الدليل القاطع على صدق ما نقول، كما ورد بعضه في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، وورد كله في «الغدير» للأميني:

قام رجل إلى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار، فقال له: فض لله فاك، والذي بعث محمدًا بالحق نبيًّا لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله، أأبي معذب في النار وابنه قسم الجنة والنار؟ والذي بعث محمدًا بالحق إن أبا طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ونور ولده من الأئمة ألا إن نوره خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام، والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنمًا قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟

قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به، وإن أبي حين حضره الموت شهده رسول الله ﷺ فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها، وما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا، كان والله أبو طالب مؤمنًا مسلمًا يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش. وقد احتج بهذا لكلام الإمام الحسن، عليه السلام.

وقد سئل الإمام على زين العابدين عن أبي طالب: أكان مؤمنًا؟ فقال: نعم، فقيل له: إن ها هنا قومًا يزعمون أنه كافر. فقال: واعجبًا كل العجب يطعنون على أبي طالب أو على رسول الله ﷺ؟ وقد نهاه الله ـ تعالى ـ أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن

فاطمة بنت أسد ـ رضي الله تعالى عنها ـ من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب.

وقال أبو بصير ليث المرادي للإمام محمد الباقر: سيدي إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلى منه دماغه، فقال: كذبوا والله، إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة الميزان وإيمان هذه الخلائق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم.

وقال عبد الرحمن بن كثير، قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق: إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: كذبوا، ما بهذا نزل جبريل على النبي ﷺ، قلت: وبم نزل؟ قال: أتى جبريل في بعض ما كان عليه، فقال: يا محمد! إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتاه البشارة من الله ـ تعالى ـ بالجنة، ثم قال: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبريل ليلة مات أبو طالب، فقال: يا محمد! أخرج من مكة فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب، كيف يقولون ذلك بعد قول أبي طالب.

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدًا نبيًّا كموسى خط في أول الكتب

وعن يونس بن نباته عن الإمام الصادق قال: يا يونس! ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون: في ضحضاح من النار يغلي منها أم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وروي عن الإمام علي الرضا أن نقش خاتم أبي طالب كان: رضيت بالله ربًّا، وبابن أخي محمد نبيًّا، وبا بني علي له وصيًّا. وكتب عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسيني المدفون بالري إلى الإمام أبي الحسن الرضا: عرفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي في أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الإمام الرضا:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك النار.

وروي عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه في حديث طويل: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أوحى إلى رسوله ﷺ: إني أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرًّا، وشيعة تنصرك علانية. فأما التي تنصرك سرًّا، فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب، ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه.

ثالثًا: موقف الصحابة رضوان الله عليهم من أبي طالب

لم يؤثر عنهم إلا الهتاف بإيمانه الثابت، فقد ذكر الحديث الطبري في «الرياض النضرة»، والشيرازي في «الإتحاف بحب الأشراف» وابن حجر في «الإصابة» والسيوطي في «مناهل الصفا»، والأميني في «الغدير» عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سأله رجل فقال: يابن عم رسول الله! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلمًا؟

قال: وكيف لم يكن مسلمًا وهو القائل.

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين.

ـ وذكر ابن حجر في «الإصابة»، وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخ قد عمى، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا تركت الشيخ حتى نأتيه»** فقال: أردت يارسول الله أن يؤجره الله. أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحًا بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك، فقال ﷺ: **«صدقت»**.

وذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» قولهم: وقد روى بأسانيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أبا طالب ما مات حتى قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. والخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلامًا خفيًّا فأصغى إليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يابن أخي، والله لقد قالها عمك، ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته.

ـ جاء في كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي نقلًا عن المناقب عن تفسير وكيع عن سفيان بن منصور عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر الغفاري أنه قال:

والله الذي لا إله إلا هو، ما مات أبو طالب حتى أسلم بلسان الحبشة. قال لرسول الله ﷺ أتفقه لسان الحبشة؟ قال: «يا عم! إن الله علمني جميع الكلام»، قال: يا محمد أسدن لمصاق قاطا لا هام، يعني: أشهد مخلصًا لا إله إلا الله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: **«إن الله أقر عيني بأبي طالب»**.

رابعًا: الجذور التاريخية لتكفير أبي طالب

لقد مر عصر النبوة، وعصر الخلافة الراشدة، وهو يحفل بمآثر أبي طالب الفذ ويسجل مآثره الغر وأياديه البيض ليوفيه بعض حق له عليه، وجاء عصر بني أمية فأرادو النيل من رجل الإسلام الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ فكانت سيرة أبيه إحدى الجوانب التي أعملت تلك السلطة فيها معاول الهدم، وهى تظن أنها ستأتي على شخصية هذا الإمام.

ومن هذا الكلام نستخلص أن مسألة تكفير أبي طالب جاءت بوحي السياسة، وقد واجه هذه الإشاعة أئمة أهل البيت والصحابة وعالجوها على أحسن وجه.

والخلاصة:

١- وخلاصة قضية أبي طالب الامتداد للخط الإبراهيمي الموحد

تكفل بالنبي ﷺ بوصية من أبيه عبد المطلب، فقام بخدمته ورعايته، وقدمه على أبنائه، حتى بعثه الله نبيًّا، وتنوعت أساليب أبي طالب في نصرته للدين الحنيف، فدخل الشعب المسمى باسمه، وتحمل الصعاب في سبيل نصرته والدفاع عنه، وتصدى للحوارات والمناقشات السياسية؛ حيث كان يمثل الرسول ﷺ فيها أمام جبهة قريش.

وكانت علاقته بالرسول علاقة حب وود ووعي وعقيدة، ولم يتفارقا حتى توفى، فتوجع وتألم النبي ﷺ لموته وترحم عليه... وثبت أن حياة أبي طالب وأشعاره ومواقفه وتصاريحه، وتصاريح الرسول وأئمة أهل البيت والصحابة كلها تثبت إسلامه. ومن ثم، فإن الزعم بكفره هو أسطورة تاريخية وراءها أسباب سياسية وعوامل نفسيه لازالت تسيطر على نفوس مروجي هذه الأسطورة الظالمة بشأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- حكم من كره أو تنقص أبا طالب

إن الذين سبقونا في مسلكهم وفي كتبهم عن نجاة السيد أبي طالب أرى أن مسلكهم هنا يرتضيه كل مسلم متصف بالإنصاف من أهل الإيمان؛ لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها، وغاية ما فيه أننا حملناها على معان مستحسنة يزول بها الإشكال ويرتفع بها الجدال. ويحصل بذلك قرة عين النبي ﷺ والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه؛ فإن ذلك يؤذي النبي ﷺ، وقد قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٧]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٦١].

ولقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في «شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار» للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤: أن بغض أبي طالب كفر.

ونص على ذلك أيضًا من أئمة المالكية العلامة على الأجهوري في «فتاوية»، والتلمساني في «حاشيته على الشفاء»، فقال عند ذكر أبي طالب: ينبغي ألا يذكر إلا بحماية النبي ﷺ؛ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي ﷺ ومن آذى النبي ﷺ كافر، والكافر يقتل.

وقال أبو الطاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر.

حكم من آذى نسبه ﷺ

والحاصل: أن إيذاء النبي ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب، وعند السادة المالكية يقتل وإن تاب.

الخاتمة

إن ما روى من شعر منسوب إلى أبي طالب يثبت إسلامه أو روايات المؤرخين في هذا الشأن تقيم الدليل القاطع الذي لا يدفع على أن أبا طالب إنما توفى على الإسلام، فكيف بها مجتمعة متضافرة، ومتكاملة يأخذ بعضها برقاب بعض نحو غاية واحدة ونتيجة مؤكدة، وهى أن أبا طالب ـ حين توفى ـ إنما توفى على الإسلام، لا أقول الإسلام الذي وقع حينئذ فقط، وإنما الإسلام الذي كان منذ بداية بعثة النبي ﷺ دون جدال.

وفي ضوء ما تقدم جمعه يثار تساؤل ملح يتلخص في: ما هو السر في اللغط الذي دار ـ ولا يزال يدور ـ حول إسلام أبي طالب، نفيًا وإثباتًا؟

ولا أرى تعليلًا لذلك إلا أن السياسة شاءت ذلك، فكان لها من أعوانها وحاشيتها من الكتاب والمؤرخين والرواة ما شاءت، ذلك أن أبا طالب هو أبو علي ـ كرم الله وجهه ـ الإمام كنز الأئمة وحق علي عليه السلام ـ والأئمة من بعده ـ في ولاية أمر الأمة، سياسيًّا واجتماعيًّا، دون غيرهم، وقد صار أمر الأمة إلى غيرهم، فكانت مصلحة الحكام ـ وخاصة في العصرين: الأموي والعباسي ـ ملاحقة أئمة أهل البيت بالتنكيل والتحريف والتشويه بشتى الوسائل، طالما كانت قلوب الناس تطوف حولهم، وتعطف على مظلوميهم، ومن ثم لم يدع الحكام فرصة لثلب مزايا الأئمة، ونفي محاسنهم، وشل مفاخرهم، إلا واهتبلوها، وقد كان في مقدمة مفاخر آل البيت موقف أبي طالب من الرسول ﷺ ودينه منذ بدأ، رعاية وحماية، ودفاعًا مجيدًا لا يقف عند حد، ولا يتقيد بقيد، بما لولاه لما تمكن أن يأخذ هذا الدين طريقه إلى نور الحياة، فضلًا عن أن ينتشر ثم ينتصر. ومن ثم، كان أبو طالب من أهداف هذه الحملة الشنعاء ضد أهل البيت، فكانت الأشعار المنحولة والروايات الموضوعة المدخولة لنفي إسلامه، حتى لم يتورعوا عن نسبتها تارة إلى علي ـ كرم الله وجهه ـ نفسه، وأخرى إلى ابن عباس، وهذه الأمور لم تكن معروفة على عهد الخلفاء الراشدين، وإنما ظهرت بوضوح في بداية حكم بني أمية.

وما رأينا مثل هذا الجدل ثار حول إسلام كثير من المنافقين، وبخاصة من الذين قال الله تعالى فيهم لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١].

ولكنه ثار حول إسلام أبي طالب، لا لشيء إلا لأنه أبو علي عليه السلام الإمام أبي الإمامين، وجد الأئمة. متمثلًا في التشكيكات التي حيكت لها الأشعار، والروايات تنفيرًا للناس وصرفًا لهم عن قضية الأئمة، ونشرًا للضباب حولها. حتى لا تكون الحقيقة واضحة جلية أمام الرعية، فيطمئن الحكام إلى انتقرار ملكهم، واستمرار حكم أسراتهم.

ولكن الله كان بالمرصاد، فقد أشرقت شمس الحقيقة. فذهبت سحائب الضباب المصنوع؛ حيث شاء الله ـ تعالى ـ أن تذهب ـ إلى غير رجعة ـ ومعها عصور العصبية المذهبية والعداوة العائلية لأهل البيت ـ وسادت الحرية الفكرية، فانطلق الحق يأخذ طريقه إلى الوضوح والإسفار عن وجهه الصحيح. ومن ثم، فإن الغد القريب أو البعيد سيشهد ـ بإذن الله تعالى ـ تصحيح كثير من المفاهيم، وإنصاف كثير من المظاليم، وإذابة الثلوج بين القائلين بإسلام أبي طالب والقائلين بعدم إسلامه.

وذلك ليس بالنسبة لهذا الموضوع فحسب، ولكن بالنسبة لكثير من المعتقدات المدعاة والمفتراة، ولله عاقبة الأمور ـ والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله الميامين وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نبذة مختصرة عن المؤلف

الدكتور/ علوي امين السيد خليل

* مواليد عام ١٩٤٤ بقرية لبيشة التابعة لمركز أشمون محافظة المنوفية.
* جده لأبيه الشيخ سيد إبراهيم خليل، أحد من شاركوا في تقنين الشريعة الإسلامية في مجلة الأحكام العدلية، وكان من الأزهريين الكبار، والده من علماء الأزهر الشريف، وكان صوفيًا شاذليًا.
* حفظ القرآن الكريم في كُتاب القرية على يد عالمها الشيخ عبد ربه الشامي، ثم التحق بمدرسة خان جعفر الابتدائية، ثم عثمان ماهر الابتدائية، ثم معهد القاهرة الابتدائي، (وكان أصغر طالب بالمعهد)، ثم معهد القاهرة الثانوي، ثم كلية الشريعة بالقاهرة.
* حصل على الماچستير والدكتوراة من كلية الشريعة وعين معيدًا، ثم مدرسًا مساعدًا، ثم مدرسًا، ثم أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا.
* له مجموعة مؤلفات في الفقه الإسلامي، بلغت اثنين وعشرين مؤلفًا.
* عمل إمامًا وخطيبًا ومحاضرًا في مساجد القاهرة، أهمها مسجد الإمام الحسين الذي دأب على درس عصر الجمعة فيه من سنة ١٩٩٢ وما زال يُدرِّس فيه حتى الآن.
* له حلقات إذاعية وتليفزيونية متعددة.

obeikandl.com